Al-Mukhtar Journal of Social Science 42 (1): 16-26, 2024
Doi: https://doi.org/10.54172/m21f1717

Research Article

Open Access

دلالات اللون في شعر لطفي عبد اللطيف

فاطمة علي محمد زوبي[1]*:
قسم اللغة العربية، كلية الآداب،
جامعة عمر المختار

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى دراسة دلالات اللون في شعر لطفي عبد اللطيف، إذ يمنح اللون النص الشعري طاقة فنية عالية ترتفع به من الدلالة اللونية العادية إلى دلالات لونية نستكشف من خلالها عالمي الشاعر الداخلي والخارجي، ويمثل اللون ملمحًا جماليًا في الشعر، ويعد عنصرًا مهمًا من عناصر البناء الفني؛ لما يحمله من دلالات فنية نكتشف من خلالها لغة خاصة في النص الشعري، كما أنه يذهب عن النفس الشعور بالملل عند قراءة النص الأدبي، فاللون "يمنح الحياة والوجود قيمة لا يمكن إغفالها، فهل نتخيل أنفسنا نرى لونًا واحدًا؟ فهل يمكن الشعور بلذة الجمال لو اختفت الألوان من الأرض، وأصبحت ترى بلا ألوان؟ عالم مخيف يبدو لك كالصحراء الممتدة أطرافها بلا ماء أو شجر، أو ظل أو نهاية؟ إن هذا التخيل يدفع النفس إلى النفور والملل، "فلا حياة بلا لون" (الزواهرة، 2008، 13) ولعل هذه الدراسة تكشف لنا دلالة الألوان في شعر لطفي عبد اللطيف، وتظهر الأبعاد الجمالية التي تحققها من خلال المشاركة الوجدانية للمتلقي، وهو يتلقى القصيدة من جهة، وفي تحديد القراءة العميقة للقصيدة التي تحصل عن طريق المعنى الايحائي الذي يضيفه اللون عليها من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: دلالات، اللون، الأبعاد الجمالية، المشاركة الوجدانية.

The color symbolism in the poetry of Lotfi Abdel-Latif

Abstract: This research aims to study the color symbolism in the poetry of Lotfi Abdel-Latif, as color gives the poetic text a high artistic energy that elevates it from ordinary color sybolism to meanings that explore the poet's internal and etenal visions. Color represents an aesthetic feature in poetry and is considered an important factor of artistic construction, carrying artistic meanings that reveal a unique language in the poetic text. It also prevents feelings of boredom when reading literary texts, as color "gives life and existence a value that cannot be ignored. Can we imagine seeing only one color? Can we sense the beauty if colors disappeared from the earth and everything was colorless? A terrifying world appears as an endless desert with no water, trees, shade, or end. This imagination leads to aversion and boredom for there is no life without color, And perhaps this study reveals to us the symboism of colors in the poetry of Lotfi Abdel-Latif, and highlights the aesthetic dimensions achieved through the emotional involvement of the recipient, as they receive the poem on one hand, and in determining the deep reading of the poem obtained through the suggestive meaning that color adds to it from another perspective.

Key words: Semantics, color, aesthetic dimensions, emotional participation

* **Corresponding author:**
Fatema Ali Mohamad

Fatma.A.m.Zubi@omu.edu.ly

The deparmtent of Arabic language _ College of Literature _ Omar Al-Mukhtar University

Received:
14/05/2024

Accepted:
29/05/2024

Publish online:
30/06/2024

The Author(s) 2017. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

لم تعد القصيدة العربية المعاصرة محصورة في مجموعة الأغراض التي تمثل قيدًا صارمًا على قدرات الشاعر الإبداعية ورغبته في الانطلاق، بل أصبحت تتميز بمجموعة من السمات التي اكتسب بعضها من طبيعة الرؤية الشعرية الحديثة، وبعضها الآخر من طبيعة التقنيات المستخدمة في بنائها وطريقة توظيف الشاعر لها.

ويمثل اللون ملمحًا جماليًا في الشعر المعاصر، ويعد عنصرًا مهما من عناصر البناء الفني للقصيدة، لما له من دلالات فنية ونفسية، واجتماعية ودينية ورمزية، "فالألوان من أغنى الرموز اللغوية التي توسع مدى الرؤية في الصورة الشعرية، وتساعد على تشكيل أطرها المختلفة لما تحمل من طاقات إيجابية وقوى دلالية، وبما تحدثه من إشارات حسية وانفعالات نفسية في المتلقي." (الزواهرة، 2008، 13–18)، لهذا كان للألوان دورها في بناء القصيدة العربية المعاصرة، بل إن النص الشعري المعاصر تزين بالألوان وفن الرسم إذ "تشهد القصيدة الحديثة احتفالًا بجماليات اللون في كل اتجاه، وعبر كل المستويات." (زيات، 1985، 47)، والمتلقي لأشعار لطفي عبد اللطيف يجد علامات لونه ماثلة في قصائده، ولعل أهمها:

أولًا: اللون الأسود:

يأتي اللون الأسود في الشعر العربي المعاصر من حيث الكثافة في مرتبة متقدمة جعلته يغطي مساحة واسعة في قصائد الشعراء، وقد تكون "الحالة السوداوية التي عاشها الإنسان العربي، في سلسلة متتالية من النكبات والهزائم، والموت، والحداد عاملًا بارزًا لانتقال حركة الواقع المسوّد إلى أحاسيس الشعراء وأقوالهم، كما دل اللون الأسود على دلالات أكثر وأعمق مما هو موروث عند الناس." (عبيد، 2010، 98،99)، ويتغير مدلول اللون الأسود من شاعر إلى آخر، إذ إن لكل شاعر ظروفه الزمانية والمكانية الخاصة به.

وورد اللون الأسود سبع مرات في القرآن الكريم بعضها تمثل الكفر والتكذيب، فسواد الوجه يرمز إلى سواد الروح ويتجلى ذلك في قوله تعالى: – "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ" 60 الزمر، ويتجلى أيضًا في قوله تعالى:– "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ"106 آل عمران.، وقد يكنى به عن شدّة الغضب وحدّة الغيض في قوله تعالى:– "وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ "58 النحل.

"يرتبط اللون الأسود بالموت والحزن والحداد غالبًا، ومن صورة الخوف من المجهول وراء الظلام، فالموت ظلام، والحزن والحداد كذلك، فالموت يستمد دلالته من السياق الذي يوظف فيه؛ لأن ردَّ السياق وحده هو الذي يحدّد وظيفة اللون وفاعليته." (الشتيوي، د.ت، 18–1)

وقد استخدم لطفي عبد اللطيف هذا اللون في قصائده، ووظفه بشكل فاعل كما في قصيدته (بكائية لعلي الرقيعي) التي يتفاعل فيها مع اللون الأسود بوصفه لونًا جوهريًا يقول:

هاجرت أطيارنا من غير أن تحظى ولا أن تستجمّا

غردت، غنت وكان الكل متخومين صمًا

أغلقوا بالنفط أذنًا .. أغلقوا للطير بالصياد فمّا

كان سودًا صائدوهم .. سود قلب، سود ثوب

مأتما يختال رسميًا ملمّا. (عبد اللطيف، 1977، 29)

ثم يقول من القصيدة نفسها:

كانت الأقفاص ذي الأرجاء، والأطيار بكما

خيفة من صائديها السود، فالصياد كالبوليس

صلب السمع.. أو كالكلب، حتى وهو أعمى (عبد اللطيف، 1977، 30)

نجد السواد بدلالته الذاتية والموضوعية يهيمن على المقطع الشعري، ويعكس رؤية الشاعر المغرقة بالسوداوية، ونظرته القاتمة للواقع، فيصبح اللون الأسود بؤرة تدور حولها مفردات (النفط – الصائد – القلب – الثوب – أعمى – مأتم) لتتعاضد، وترسم صورة الإحساس بالسواد كما يراها الشاعر تكشف عن عمق إحساسه بها.

وبما أن سيطرة اللون الأسود تدل على عمق الألم والحزن والظلام، وتعطي مؤشرًا على طبيعة إدراك الشاعر لعالمه، فيربط السواد بالزمن ويبدو ذلك مؤشر "انعكاس للحالة النفسية التي يعيشها الإنسان من خلال ربط الألفاظ بالزمن السنوات السوداء، الأيام السوداء، ..... ويكون للون أثره في تشكيل النص، ويختلط الزمان بالمكان ليخرج لنا دالًا على هموم تكاد تحمل لونًا مشابهًا لليالي السوداء." (الزواهرة، 2008، 13–18)

ويرتبط اللون الأسود في بعض قصائد لطفي بالزمان، وهو يعبر بذلك عن حالة تشاؤمية تجاه الحياة، يقول في قصيدة (حرفنا الأعزل):

يمر العام لا يرحم

برحلته الطويلة فوقنا يجثم

لنلقى منه في التاريخ لو عدنا

إلى الأقصى إلى الأدنى

مذكرة بها أجيالنا تحمل سواد فارغ في حرفه علقم. (عبد اللطيف، 1967، 35)

يصف الشاعر العام بأنه طويل قاس لا يرحم، ولا يحمل إلا جراحًا تدل على الضياع والهزيمة، لا يجد فيه مكانًا للأمل والاستبشار، فيصفه بقوله: سواد فارغ في حرفه علقم، ليعبر بذلك عن مدى الإحباط والتشاؤم الذي ملأ قلبه.

وقد يكون اللون حاضرًا، وإن لم يذكره الشاعر بشكل صريح، ومع ذلك فإن الشاعر يرسم صورًا فنية خاصة ترتبط مدلولاتها بالألوان التي تعرف بها، أو توحي بها، ففي قوله:

نظرت عيني حتى يئست وسجى الليل وولى أبدا

وإذا الأكؤس مرّا طفحت فمضى الحلو جفاء زبدا

وإذا الظلمة حبر وأنا قلم يغمس ذلًا صعدا (عبد اللطيف، 1977، 78)

جاء تأثير اللون الأسود واضحًا ومهيمنًا على مفردات المقطع الشعري، وذلك بتوظيف المفردات الدالة على السواد، وهو ما يمكن أن نسميه بالمفردات اللونية (الليل، الظلمة، حبر، حزنا، أسى)، وهي مفردات توحي بالسواد، ليعبر الشاعر من خلالها عن مدى معاناته وشعوره بمرارة العيش، فيختم هذا المقطع بتشبيه نفسه بالقلم الذي يغمس ذلًا شاقًا ليعبر بذلك عن لحظات الخنوع التي يحس بها حتى صار قلمًا لا يجتر إلا الحزن والأسى.

وعليه فإن اللون الأسود عند الشاعر يعطي دلالات متنوعة تُكشف لنا من خلال السياق، إذ إن السياق وحده هو الذي يحدد وظيفة اللون وفاعليته، فهو علامة دالة على الإحساس بالمرارة والضيم في بعض القصائد، وعلامة دالة على الحزن والألم والضياع والحداد في قصائد أخرى، وبالنظر للسياقات التي جاء فيها اللون الأسود نجد أغلبها تعطي حقولًا دلالية تدل على الانكسار والهزيمة في الواقع الذي يعيشه الشاعر.

ثانيًا: اللون الأبيض:

يعتبر اللون الأبيض محبب إلى القلوب؛ لأنه يبعث على الأمل والتفاؤل والصفاء والتسامح، كما يبعث على الود والمحبة، ويرمز إلى الطهارة والنقاء والإيمان كما في قوله تعالى: – " وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" آل عمران:107 فقوله تعالى (ابيضت وجوههم) كناية عن صلاح أعمالهم وطهارة أرواحهم.

ويعتبر اللون الأبيض من الألوان الباردة التي تثير الشعور بالهدوء. (عبد الوهاب، 1985، 85)، كما تغلب عليه الدلالة على الإشراق والإضاءة (عمر، 1977، 14)، والطهارة والصدق والنصر، و"النور الإلهي" (نوفل، 1995، 21) وعلى الرغم من أن هذا اللون غالبًا ما يحمل الدلالات الإيجابية إلا أنه يحمل في الوقت

نفسه معنًى يقود إلى التشاؤم عند ارتباطه بلون الشيب، كما في قوله تعالى: – "قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) مريم:4

ويبدو أن الشؤم ارتبط بالبياض حينما ارتبط بلون الكفن، ومع ذلك فإن دلالة اللون الأبيض تختلف حسب السياق الشعري، كما تختلف الدلالات من شاعر لآخر، ومن حدث لآخر، فالحالة النفسية تعطي دلالة مغايرة لاستخدام اللون، والفترة الزمنية تحدد أيضًا استخدامًا مغايرًا للون. (الزواهرة، 2008، 87)

ومن هنا قد تباين توظيف لطفي عبد اللطيف للون الأبيض من قصيدة إلى أخرى، فأحيانًا يتخذ اللون الأبيض دلالة الأمل والتفاؤل، ولذلك كان البياض صفة للفرح في زمن الحزن والتعاسة، كما في قوله من قصيدة رسالة إلى الوطن:

تبكي كؤوس الصحب جلسة صاحب

لكأنما هم يسألون الآن عني والهوى في جانبي

لكأنما مات الجواب على فراق الغائب

لازلت أحمل وحدتي وتغربي..

يا موطني يا ضحكة بيضاء في شفتي أبي

وحكاية الحب التي كانت مقيمة مسمعي من صاحبي (عبد اللطيف، 1969، 88)

فاللون الأبيض هنا له دلالة عميقة تبعث على التفاؤل والأمل في صبح جديد، فقد تماسكت وتفاعلت العديد من الصور المتراكبة (تبكي كؤوس الصحب .....، لا زلت أحمل وحدتي وتغربي) لتنتج لنا هذه الصورة اللونية (يا موطني يا ضحكة بيضاء في شفتي أبي) دلالة على التفاؤل والأمل القريب رغم الظلام الذي يحيط بالشاعر ويقيده.

ويتخذ اللون الأبيض دلالة الأمل والتفاؤل والنصر وتحقيق ما هو منتظر في مقطع من قصيدة (أقدم) التي أهداها الشاعر إلى الشقيقة تونس بمناسبة ذكرى السابع من نوفمبر:

عهد جديد مديد يستمر به

فيك الشباب السوي المبدع النظر

أيامه المشرقات الغر ما اتلفت

زانت جباها ومنها ابيضت الغرر (عبد اللطيف، 2004، 86)

إذ يوظف الشاعر اللون الأبيض هنا للدلالة على التفاؤل وتحقيق الآمال، والسمة الغالبة لمعنى البياض ارتباطه بالأمل والخير، فقد اختار الشاعر مفرداته بعناية وانسجام مع دلالة اللون (جديد – الشباب – السوي – النظر – المشرقات – زانت)، وهذه المفردات تتماهى وتتفاعل مع الصورة اللونية (ابيضت الغرر) لتوحي بالتفاؤل وتحقيق الآمال.

ثالثًا: اللون الأصفر:

لعل لهذا اللون علاقة بالموت والاضمحلال تارة، وبالبهجة والجمال تارة أخرى، ويعتبر هذا اللون من أشد الألوان إضاءة بما أنه لون الشمس ومصدر الضوء، لذلك استخدمه المصريون القدماء رمزًا لآلهة الشمس، واللون الأصفر هو اللون الملكي، وكان شعار بوذا ورجال الدين، وهو شعار الربيع عند قدماء الألمان، وهو لون مقدس في الصين والهند وعند أوربا المسيحية. (حاجي، د.ت، 97)، وقد ورد اللون الأصفر في القرآن الكريم بدلالتين تناقض إحداهما الأخرى، ففي قوله تعالى: – "قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا مَا لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ"69 البقرة. دل اللون الأصفر على معنى البهجة في الطبيعة، فقوله: – (تسر الناظرين) أي تعجبهم وتفرحهم بحسنها، فوصف هذه البقرة باللون الأصفر دلالة علي جمال هذا اللون، وتأثيره النفسي على الإنسان.

أما في قوله تعالى: –" اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا " 20 الحديد. يبدو جليًا لنا أن اللون الأصفر يحمل دلالة المرض والموت والفناء، فالآية الكريمة تبين لنا دورة الحياة باخضرار الأرض وخصوبتها بعد نزول الأمطار، فلم تلبث الأرض أن تجف وتصير قاحلة، فالاصفرار في هذه الآية يدل على الذبول والموت والاضمحلال.

كما أن للون الأصفر دلالات أخرى، وهي دلالته على الخداع والزيف، والشحوب والتعب، والانهزام، لذلك يرمز بعض الشعراء بالغروب لغياب الراحة والطمأنينة.

كما رأينا للون الأصفر دلالات مختلفة، وترتبط في السياقات الشعرية في أغلبها بالحالة النفسية للشاعر، ففي بعض الأحيان يرمز الشاعر باللون الأصفر للإحباط والمرض، والانهزام والخديعة .....، ولكنه يتعداها في سياقات شعرية أخرى إلى الخير المرتبط بالخصب والوفرة، وهو رمز الذهب ولونه.

ونلاحظ أن توظيف الشاعر لطفي عبد اللطيف للون الأصفر يتباين من قصيدة لأخرى، إذ منح هذا اللون العديد من الدلالات، على أن الدلالة الغالبة عليه قد ارتبطت بالزيف والانهزام والخوف والشقاء، ومن ذلك ما قاله:

أخذ التاجر ما ثمة بالحيلة

والزور، وقهرا

وغلا قوتك، كي تنقص سعرا

ترك الدولار أقلامك صفرا

ولويلاتك حمرا

وسقى يومك خمرا

فغدا تفقد أمرا (عبد اللطيف، 1999، 120)

نرى الشاعر في المقطع السابق، يرسم لنا صورة حزينة يعبر من خلالها عن معاناة الإنسان وآلامه؛ لذلك كان توظيف اللون الأصفر دلالة على مدى التعب والشقاء الذي يعانيه الشاعر، وهو جزء من مجتمع عاش المعاناة نفسها محاط بالفقر والعوز من كل جانب، فالمجتمع كما ورد في سياق القصيدة، بدلًا من أن تكون أقلامه أداة قوة وبطش ضد التسلط والعبودية أصبحت مظهر ضعف وقهر وألم، ولتأكيد هذه الصورة وتكريسها وظف الشاعر اللون الأصفر مرة أخرى في قوله: (وسقى يومك خمرا)، فقد ذكر ما له علاقة باللون الأصفر وهي الخمر، وكأنه يرمز بذلك إلى التقاعس، وعدم الفاعلية والهروب من الواقع المرير.

رابعًا: اللون الأحمر:

كما بينا سابقًا أن اللون يستقي دلالته من السياق الذي يرد فيه، غير أن الدلالة التي غلبت على اللون الأحمر منذ القدم هي الرمز إلى الدم والحرب، "إذ ارتبط اللون الأحمر منذ القدم بدلالة غلبت عليه وهي الإيماء إلى لون الدم، وما يعني من الصراع والقتل والموت، والثورة والحرب" (الزواهرة، 2008، 43)، ولم يرد اللون الأحمر في القرآن الكريم بلفظ صريح إلا مرة واحدة مع اللونين الأبيض والأسود، يقول تعالى في كتابه العزيز:- "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ "27 فاطر. فالحمرُ في الآية الكريمة تبين تلون الطبيعة وتنوعها، وفي ذلك دعوة للتفكير والتدبر، وعاطفيًا يعتبر اللون الأحمر لون الحب الملتهب (الصمادي، 2001، 198)، وتظهر هذه الدلالة واضحة في قول الشاعر:

وهمس ووشوشة منه في مسمعي

ونار على خده – أحرقت دون قصد –

بها إصبعي

واحرقت الخد فاحمر كالورد تحت يدي (عبد اللطيف، 1967، 88)

ويتميز اللون الأحمر عن بقية الألوان بأنه يستخدم بكثرة في إشارات التحذير والإنذار، والسبب في ذلك أنه لون ملفت للانتباه حيث يكون استجابة للإنذارات أكثر من أي لون آخر لدى العقل البشري، فإن اللون الأحمر يشعر الشخص بأنه في وضع يحتم عليه الحذر، أو التأهب، يقول لطفي عبد اللطيف:

الضوء أحمر لا تمر

رنت بسمعي كالضمير وكاليقين وكالقدر

حتى أطلت بادرات اليأس من قلبي الحزين

ومددت ساقي للألم

فأنا الصفيح أنا العدم (عبد اللطيف، 1967، 27)

يطالعنا اللون الأحمر هنا، ليعكس لنا الحالة النفسية للشاعر حيث تجد دلالة الانهزام والإحباط، ودلالة الموت من خلال توظيفه للمفردات:

(اليأس/ الحزين/ الألم/ الصفيح/ العدم)

خامسًا: اللون الأخضر:

اللون الأخضر هو لون الخصب والحياة، ولون الطبيعة الحية لذلك اعتبر رمزًا للخير والنماء، كما أنه اقترن بالنبات دلالة على جمال الكون وحيويته كمظهر من مظاهر قدرة الله –سبحانه وتعالى– ورحمته بعباده التي تجعل الشجر الأخضر حطبًا يحترق ليولد الطاقة، قال تعالى:– "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا منه توقدون" يس:80 والقدرة التي تخرج من الأرض نباتًا أخضر، قال تعالى: – " وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" الأنعام 99، فاللون الأخضر في الآيتين الكريمتين فيه دلالة على البعث والحياة، وقد ارتبط اللون الأخضر بالجمال، ويظهر ذلك جليًا في قوله تعالى :– "أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا" الكهف 31، فاللون الأخضر في هذه الآية الكريمة لم يرد ليدل على جمال لباس أهل الجنة فقط بل ليذكر الإنسان بالعاقبة الحسنة والخلود في النعيم الأبدي.

ويأتي اللون الأخضر في شعر لطفي عبد اللطيف ببعض قصائده دالًا على الأمل والاستبشار، وإذا كان لطفي قد وظف اللون الأسود ليدل بمجمله على قسوة الحياة والأزمات والموت، فإن اللون الأخضر يصبح بالنسبة له هو النتيجة المرجوة والأمل في حياة أفضل، فقد تحمل لفظة الأخضر معنى القيمة والمكانة الجديدة المنشودة من الشاعر لتغيير الواقع، ولتحيي الأمل والفرج لتحقيق الأهداف والمقاصد حين يقول من قصيدة (يقولون): –

وأصل الخلاف بأني خالفت غيري

وإني أهوى بروحي

ويخضر في الحب حبري (عبد اللطيف، 1977، 56)

يتبين لنا من خلال هذا المقطع أن اللون الأخضر الذي ورد بصيغة المضارع جاء للدلالة على الاستمرار، فيبدو بالنسبة للشاعر نتيجة وأملًا في حياة أفضل، وبما أن اللون الأخضر هو لون الحياة، فقد وظف لطفي من خلاله الكلمات (أهوى، والحب)، وهي ألفاظ ذات دلالة صريحة على الفرح والأمل، ويتخذ اللون الأخضر الدلالة على الأمل ولو كان بعيدًا في قوله: –

عاد الهوى القديم يا عشيرتي

من خلف مهجتي برق

فأرعدت أوصالي التي بالأمس واصلتك

أبرقت، والمزن في عيني رق

تفتحت أكمام ذكرياتي الأولى

واخضر حولها كل الورق (عبد اللطيف،1969، 118،119)

نرى الشاعر في هذا المقطع يأتي باللون الأخضر للدلالة على الفرح والتفاؤل والأمل بحضور ذكرياته الأولى، وقد كان تأثير اللون الأخضر واضحًا وجليًا على مفردات المقطع الشعري وذلك بتوظيف المفردات (عاد، برق، تفتّح)، وهي مفردات تبعث على الاستمرار والأمل والتفاؤل، ولكن هذا الأمل المنشود يبدو بعيد المنال عند الشاعر، فقد ورد التشديد في لفظتي (تفتّحت، اخضّر)، والتشديد كما هو معلوم إطالة زمن النطق بالحرف المشدد، وكأن الشاعر يبث لنا أحاسيسه بأن الأمل موجود ولو كان بالبعيد، ونجده في قصيدة أخرى يشعر بالحنين إلى الفرح وحياته الماضية بربيعها المزهر، فيقول:

على زهر الربيع الدافيء الناهد

يقوم خريف زيتونه

بلا حبات لا أوراق لا خُضره

بلا نضره

ولا نظره

من الزهر الجميل الدافيء الناهد. (عبد اللطيف، 1967، 45)

يستهل الشاعر المقطع بسرد خبري يفضي من خلاله عما يجول في نفسه من أحاسيس ومشاعر تفيض لوعة وحسرة على عمره الذي سينقضي وهو بعيد عن حبيبته، فانعكست هذه الأحاسيس على الأشياء من حوله، فهو كزيتونة في خريف العمر خالية من كل خضرة، فالشاعر قد نفى عن زيتونته الخضرة لون الطبيعة والحياة مما يؤدي إلى غياب البهجة والأمل.

الخاتمة

وهكذا يطالعنا اللون في التجربة الشعرية للطفي عبد اللطيف معبرًا من خلاله عن رؤيته الشعرية من جهة، وامتحان خيال المتلقي وقدراته من جهة أخرى.

وحضور اللون بأنماطه المختلفة، ومستوياته التوظيفية المتباينة قد أكسب قصائده طاقة تعبيرية ودفقات شعورية ارتقت بها إلى مستويات الحداثة الشعرية، وقد استطاعت هذه الألوان أن تنقل النص الشعري من حدود الدائرة اللونية البسيطة إلى الدائرة اللونية المتعددة والمتنوعة، مما يوفر للنص ثراءً جماليًا وفنيًا، وبذلك يصبح اللون جزءًا من قضايا النص الشعري وتقنياته.

وقد كان للألوان في شعر لطفي عبد اللطيف دلالات مختلفة حسب السياق الذي وردت فيه، فالأسود لون الألم والحزن والتشاؤم، والانكسار والهزيمة، والأبيض رمزٌ للأمل والتفاؤل، أما اللون الأحمر فمن أكثر سماته ارتباطه بالدم، فجاء عنده رمزًا للحذر والتأهب، أما عاطفيًا فهو لون الحب والتفاؤل، والأصفر لون الزيف والانهزام، والخوف والشقاء، أما اللون الأخضر، فهو لون الأمل والفرح والتفاؤل.

ومما توصلت له هذه الدراسة أن اللون عنصرٌ مهمٌ من العناصر التي تميز الصورة عند لطفي عبد اللطيف، حيث لعبت المفردات اللونية العديد من الوظائف داخل صوره الشعرية، واستطاعت أن تضيف لها قيمة عالية ومذاقًا خاصًا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا/ الكتب:

1- الزواهرة، ظاهر (2008)، اللون ودلالاته في الشعر (الشعر الأردني نموذجًا)، ط1، عمان: دار حامد.

2- الصمادي، امتنان عثمان (2001)، ط1، بيروت: المؤسسة العربية.

3- عبد اللطيف، لطفي (1967)، أكواخ الصفيح، ط1، ليبيا: مكتبة الفكر.

4- عبد اللطيف، لطفي (1969)، حوار من الأبدية، ط1، بيروت: دار لبنان.

5- عبد اللطيف، لطفي (1967)، الخريف لم يزل، ط1، طرابلس: مكتبة الفكر.

6- عبد اللطيف، لطفي (1977)، دمعة الحادي، ط1، تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

7- عبد اللطيف، لطفي (2004)، عيناك صورة للصدى، ط1، تونس: مطبعة دار الشباب.

8- عبد اللطيف، لطفي (1999)، قليل من التعري، ط1، مصراتة: الدار الجماهيرية.

9- عبد الوهاب، شكري (1985)، الإضاءة المسرحية، د. ط، الهيئة المصرية للكتاب.

10- عمر، أحمد مختار (1997)، اللغة واللون، ط2، القاهرة: عالم الكتب للنشر.

11- عبيد، محمد صابر وآخرون (2010)، سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل (قراءات في قصائد بلاد النرجس)، ط1، الأردن، عمان: دار مجدلاوي.

12- نوفل، يوسف (1995)، الصورة الشعرية والرمز اللوني، د. ط، القاهرة: دار المعارف.

ثانيًا/ المجلات العلمية:

1- زيات، محمد حافظ (1985)، جماليات اللون في القصيدة العربية، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الثاني.

2- شتيوي، صالح (د.ت)، رؤى فنية، قراءات في الأدب العباسي (جماليات اللون في شعر بشار بن برد، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 18، العدد 1.